HIDE AND SEEK
خلاويص
لسه

خلدت نشـــوى للنوم فى حضـــن طفلها بعد أن تأكدت من إغلاق باب المنزل بالترباس ، تاركة (برهان) زوجها فى غرفته يأتنس فى ســـهرته بمطالعة كتابه الجديد . لا يمل زوجها من شـــراء الكتب ســـواء الجديد منها أو القديم , ليس بمقدورها إحصـــاء عدد ما يملك من كتب ورغم ذلك لا يتوقف عن إهدار أمواله فى شـــراء المزيد، اليوم عاد إليها وهو يكاد يطير من الفرحة لأنه عثر على (مخطوطة) كتاب قديم كتبت كل صـــفحاته بخط اليد تحصَـــل عليه من بائع مغفل على حد وصـــفه لأنه لا يدرك قيمة ماعنده من كنوز ،هى لم تكن في يوم محبة للقراءة ، فى نظرها هى عادة قميئة تســـتهلك العقل والوقت فيما لا يفيد ، وزاد بغضـــها لها عندما ادركت أن منزلة الكتب فى قلب زوجها تفوق منزلتها ، ولأنه ينفق فى شـرائها الكثير من النقود ترى أن بيتها وابنها فى أمس الحاجة لها ، ألف مرة وعدها أن يكف عن عادته فى شراء الكتب ، لكن تنعدم إرادته أمام أى غلاف لكتاب يحمل عنوان غامض أو كلمتين يلقيهما إليه البائع الذى من المؤكد بدوره يرى زوجها زعيم المغفلين فيكفى أن يقول له أن هذا الكتاب ذو أهمية تاريخية أو ان نســخته هذه هى الاخيرة من نوعها. من دون تفكير وبطريقه شــبه آلية يخرج المال من جيبه ويشــتريه ، إســتســلمت للأمر بعد أن أعياها التعب من مناقشــته ورضيت بقضاء الله وقدره ، على صوت تهشيم وتكسير إستيقظت من غفوتها ، فانتفضت من رقدتها مفزوعة وزاد الظلام الدامس من حالة الهلع بداخلها . لا تعلم ما سمعته حقيقة أم كان واحد من تلك الكوابيس التى كثيراً ما ترواد منامها بسبب العشـاء الدسـم الذى تصـر على تناوله مسـتهينة بالتحذيرات الطبية فمهما كانت العواقب لن تتوقف عن إشباع رغباتها فى تناول الطعام الدسم ، غادرت سريرها بعد أن ربتت على إبنها الذي كان مســتغرق فى نوم عميق ، لم يخيفها الظلام الدامس بقدر ما أرعبتها وأربكتها الرائحة النفاذة التى تعبئ أرجاء المكان ، وانقبض قلبها عندما شـــعرت بأنفاس دافئة تأتى من خلفها ، لم تقو على الالتفات فاستمرت فى سيرها بقلب كاد يخرج من مكمنه فبدأت تؤنس نفسها بالنداء على زوجها الذي تعلم مسبقاً أنه لن يستجيب للنداء ، نتيجة لضعف سمعه الذي يعانى به منذ الطفولة ، ماما غرفته توقفت تتابع الضـــوء الشـــحيح المرتعش داخلها ، عجزت عن معرفة مصدره ، شمعة أم عود كبريت ، بيد مرتعشة مثل الضوء فتحت الباب وخطت بقدمها داخل الغرفة ، ما إن اقتحمت الغرفة بكامل جســـدها

حتى عادت الكهرباء فملأ المصباح الكهربائى الحجرة بالضوء من جديد . منحها الضـــوء الطمأنينة ، فبدأت تبحث عن زوجها ، الذي لم يكن بداخل الغرفة ، بدأت تبحث عنه فى أرجاء المنزل لكنها لم تجد له أثر ، ألقت نظرة على الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط فى الصالة ، والتى أشارت عقاربها الى الثانية والنصف بعد منتصف الليل ، جلست على الكنبة المواجهة للساعة فى الصالة وبدأت تفكر فى الأمر الذي اضـــطره للخروج فى وقت متأخر مثل ذلك ،بحثت عن هاتفها وقامت بالاتصال عليه . آتاها صوت رنين هاتفه من الغرفة المجاورة لغرفة ابنها الذي لا يزال مســـتغرق فى نومه ، بدأ عقلها يطرح مجموعة من التوقعات وفى نفس اللحظة يقوم باستبعادها ، مع الوقت بدأ شعور بالقلق يسيطر عليها ، فبدأت تقطع الصالة ذهاباً وإياباً ،سمعت صوت خربشة آتية من جهة الباب فألقت بنظرها فى إتجاهه ، أصابتها الدهشة عندما رآت ترباس باب الشقة مغلقا من الداخل مما يعنى أن زوجها لم يغادر وأنه لا يزال فى البيت ، قررت أن تبحث عنه من جديد ، لكن ما إن وطأت بقدمها أرض غرفته حتى انقطع النور ، قررت العودة مرة أخرى إلى الصالة لتشعل كشاف هاتفها لكنها تجمدت مكانها عندما شعرت بأنفاس دافئة تأتي من خلفها ، التفتت بســـرعة منادية بإســـمه (برهان) لكنها لم تجد لندائها مجيب ، بدأت دقات قلبها فى التســـارع وتســـارعت على آثره أنفاســـها اســـتدارت بخطوات مرتبكة بإتجاه الصـــالة من جديد شـــعرت بالأنفاس الدافئة تلفح ظهرها لكنها بدلاً من أن تلتفت مدت يدها أمامها وخطت مســـرعة بإتجاه الصـــالة كانت تشعر أن هناك من يتبعها لذلك واصلت سيرها بأقصى سرعة ممكنة ، الإمساك بهاتفها أصبح فى تلك اللحظة أغلى أمانيها ، لم تبالى من الألم الذي أصاب ساقها نتيجة لاصطدامها بالكنبة، بكل ما أوتيت من سرعة بدأت تتحسس الكنبة بحثاً عن الهاتف ، حالة من النشوة تملكتها عندما عثرت على مبتغاها ، أمسكت بهاتفها بقوة وقامت بفتح الكشـــاف وبدأت بتحريك يدها بشـــكل عشـــوائي فى كل إتجاه ، عادت لقلبها الطمأنينة عندما لم تجد أحداً ، فجاءة شـــعرت بيد دافئة تربت على كتفها ، ألقت بالهاتف وصـــرخت صـــرخة مدوية ، وبصـــوت مرتعش بدأت تقرأ كل ما يخطر على عقلها من آيات وأذكار ثم بخطوات زاحفة بدأت تتراجع للخلف لم تكن تعرف الى أين تتجه فقط تحاول الهرب من المكان ، لم يعد يراودها شـــك فى أن أحداً معها فى الصالة ، حاولت بكل ما تبقى فى داخلها من قوة أن تتمالك أعصابها ، رغبت بشـدة فى الإمسـاك بهاتفها الملقى على الارض، على بعد خطوات منها لكنها لم تمتلك الشـــجاعة الكافية للذهاب إليه فقررت الإتجاه إلى غرفة ابنها استعانت بالضوء الشاحب المنبعث منه هاتفها فى تحديد إتجاه خطواتها ، بكل ما

تملك من عزم أغلقت باب الغرفة واستندت بظهرها عليه شعرت بمقبض الباب يلتف ببطئ فتشبثت بمكانها وجعلت من جسدها مصد ليحول دون فتح الباب ، فى تلك اللحظة تحول جسدها الذى كان يريد زوجها منها أن تناصبه العداء من أجل خفض وزنه إلى حليفها الوحيد . إعتمدت عليه فمن ذا الذي يقدر على زحزحة هذا الجسد الضخم ، تشبثت بمكانها بكل قوتها وإعتمدت على حاسة السمع التى كانت تعمل وقتها كردار قادر على رصد أى صوت وتتبعه.. توقف مقبض الباب عن الالتفاف بعد عدة محاولات بائت كلها بالفشل لكن سرعان ماعاد مرة أخرى بدأ مقبض الباب فى الألتفاف صَاحبه طرق خفيف طرقات تشبه طرقات صغيرها ذو الثلاث أعوام للحظة . عاد النور فتنهدت بقوة كمن نجا من موت محقق وبدأت تتفحص الحجرة من حولها ندت عنها صرخة هائلة كان سببها أنها لم تجد أثر لصغيرها فى المكان ، للحظة مر على مخيلتها كل ذكرياتها معه منذ كانت تشعر بركلاته فى كل صباح على جدار بطنها من الداخل كتحية صباحية إلى اللحظة التى ربتت عليه وذهبت تبحث عن زوجها فى ليلتها المشئومة. أجالت ببصرها فى أرجاء الغرفة المكتظة بلعبه على أمل العثور عليه ، بدأت الدموع بحفر مجرى لها عبر خديها المكتنزتين .خارت قواها لدرجة تجعل بإمكان أقل دفعة من زحزحتها من مكانها . لم تكن تملك فى مخيلتها أى فكرة أو تصور عن ما هى بصدد مواجهته لكنها قررت الخروج لملاقته مهما كانت النتائج دارت حول نفسها وأمسكت المقبض بقوة فتحت الباب وألقت بنفسها إلى الخارج.. كانت قد هيئت نفسها لمعركة قد تكون الطرف الأضعف فيها على الرغم من ذلك اعتزمت على القتال ببسالة ، ولكن مع اللحظة الأولى لخروجها حاولت الرجوع للخلف ، لكن حتى الهروب لم يكن مسموح به . كانت على علم مسبق أن المعركة لن تكون متكافئة لكن ما لم يخطر لها على بال أن المعركة لن تدور على أرضها . هي الآن فى مكان لا تدري عنه شيء ،الباب الذي دلفت منه تحول فى لحظة لحائط . صدها بعنف ودفعها لتواجه مصيرها . للحظة جالت ببصرها فى المكان ، ممر ضيق من الرخام مضاء من الأعلى عبر كشافات حديثة رائحة المطهر تقتحم أنفها بقوة أمامها سهم يشير إلى جهة اليمين كتب عليه إلى غرفة العمليات قررت أن تسلك الاتجاه المعاكس لكن سرعان ما صدمتها لافتة مضيئة كتب عليها المشرحة .وهى تعاود أدراجها كانت تبحث عن أي مخرج . على مرمى البصر بالقرب من غرفة العمليات رآت امرأة فى زي طبيبة ناصع البياض بدت وكأنها ملاك بكل عزمها جرت في إتجاهها وهى تلوح بكلتا يديها وتصرخ بكل عبارات الاستغاثة . عندما رآت الطبيبة وهى تعبر غرفة العمليات غير مبالية بندائها لم

تتوقف هى عن الجرى بل على العكس زادت من ســـرعتها وعزمت على اقتحام غرفة العمليات . بكل قوتها دفعت الباب لكنه رفض ان يتزحزح . أعادت الكرة لكن النتيجة لم تتغير . بكلتا يديها هوت عليه ركلته بقدمها بعد أن أعيا التعب معصـــميها وعندما باءت كل المحاولات بالفشـــل جثت على ركبتيها وبكت وهى تواصـل اسـتغاثتها التي تحولت الى همهمات غير مفهومة من شـدة التعب . على الارض جلست تنظر الى الباب كوثن لإله لم تكن لتبالي بالتقرب إليه بكل ما تملك عله يرضـى عنها ويفتح لها . لكنه وقف صـامتا لا يبالى بدموعها ولا توسـلاتها . بدأ الأمل مع الوقت يتســـرب من داخلها ويتملك منها اليأس . فجاءة انطفئ النور الصـــادر من أعلى . فقط من بعيد آتاها نور مصـــدره لافتة المشـــرحة . كفراشـــة قادتها الأفكار الإنتحارية بإتجاه الضـوء سـارت بخطى ثابتة رغم خوفها الشـديد . أغمضـــت عينيها وهى تلف بأصـــابعها العشـــر حول المقبض المعدني لغرفة المشـــرحة وفى محاولة منها لتهيأة نفســـها لملاقاة أبشـــع الاحتمالات أخذت نفســـاً عميقاً ثم دفعت الباب الضـخم فانفتح .. صـدمت أنفها نفس الرائحة التى كانت تملئ أرجاء بيتها . فبدأ قلبها يضـــرب فى داخلها بعنف ، كانت الغرفة شـــبه مظلمة وخالية تماماً على عكس ما كانت تتوقع على الرغم من ذلك لم تخطو بقدمها إلى الداخل بل جالت ببصرها فى أرجائها حتى وقعت عينها على ابنها وهو جالس فى أحد الأركان يلاعب دميته المفضلة فهرولت بإتجاهه وهى تصرخ بإسمه ..

- آدم

_آدم كويس وبخير

باغتها الصوت فالتفتت الى مصدره بشكل لا إرادي لتجد أمامها رجل مسن قصير القامة نحيف القوام شديد الشبه بوالدها لكنه إلى حد ما مشوه له عينان تبدو واحدة أعلى من الآخرى لكنها شعرت بالطمأنينة إليه..

_ انت مين

_ لازم تبقى عارفة إن جوزك هو السبب فى وجودك انت وآدم هنا

_ برهان

_ مكنش مؤمن بوجودنا وبجهله حضـــر مجموعة كبيرة من *الهزين* ودول نوع من الجن مســـالم بطبعه بس لما لقوا نفســـهم محبوســـين فى عالمكم قرروا ينتقموا فجابوه هو وآدم لعالمنا .

_ انت مين ؟
_(وهو يقترب منها) انا زعيم الهزين وجبتك هنا عشـــان تســـاعديني نرجع كل حاجة لوضعها .

تراجعت للخلف وهى تردد كل ما تحفظ من آيات الذكر الحكيم .

_ نسيت اقولك إن الهزين من الجن المسلم .

استمرت فى التراجع وترديد الآيات لكن بصوت أعلى

_ سبق وقلتلك انى مش من الجن المؤذي وإنى جبتك عشان تساعديني ، بالشكل ده هرجعك تانى بس مش هتشوفى جوزك ولا ابنك تانى .
_ توقفت لكن استمرت فى ترديد الآيات ولكن بصوت أقرب للهمس
_ لما انتى مؤمنة كدة ايه اللى خلاكى عايشة مع جوزك الكافر ده
_ برهان مش كافر
_ ده أنكر وجودنا رغم إن فى سورة بإسمنا فى القرآن . مش احنا بس حتى الملايكة مش معترف بوجودهم ولا مؤمن بوجود جنة ولا نار .
_ بس مؤمن بوجود ربنا
_ الإيمان يعنى التسليم المطلق
_ هو كان بيقول إن ربنا إدانا العقل عشان نستخدمه
_ العقل ليه حدود المفروض ميتعدهاش
_ يمكن يكون تمادى شوية بس هو بيحب ربنا وعمره ما عمل حاجة تغضبه
_ على كل حال مش دى قضيتنا ، خلينا نعمل اللى نقدر عليه عشان كل حاجة ترجع لأصلها
_(وهى تنظر بإتجاه طفلها) إدينى ابنى وأنا هعمل كل اللى تقولى عليه .
_ للاســـف مينفعش وصـــدقينى هو هنا معايا فى أمان أكتر ، متخافيش عليه ونفذي المطلوب منك
_ حاضر
خطى بإتجاهها وهو يسحب أحد الخواتم من يده اليسرى وقدمه لها .
_ أول حاجة لازم تلبسى الخاتم ده ومتقلعهوش لأي سبب .
بحذر شديد أمسكت بالخاتم وقربته من وجهها بصعوبة شديدة تمكنت من قراءة ما نقش عليه {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } استبشرت خيراً فوضعت الخاتم فى إصبعها

_ أنا دلوقتى هرجعك بيتك . أول حاجة تعمليها تاخدى الكتاب وتروحى بيه مسجد الحسين ، تسألى هناك على عبد المغيث هتلاقيه عند الباب الأخضر. إديله الكتاب واسمعى كلامه بدون نقاش ، اتبعيه زى ما النبي موسى تبع الخضر متسألهوش على أى حاجة .
بإتجاه المئذنة سارت وهى تضم الكتاب بشدة إلى صدرها كانت تعلم وجهتها فلم تلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار ولم تسمح للمتسولين رغم تعاطفها معهم فى عرقلة خطواتها بإتجاه الباب . بيده أعاق خادم المسجد دخولها .

_ باب الحريم من هناك يا ست
_ انا عايزة الشيخ عبد المغيث
_ تقصدي عبد المغيث الدرويش
_ معرفش . اتقالى اسألى عليه عند الباب الأخضر
_ يبقى هو الدرويش .
_ طب الآقيه فين؟
_ (وهو يتلفت حوله) ده كان لسه هنا دلوقتى .أهو قاعد هناك أهو

على مسافة أمتار وقفت تتطلع إليه فلم يشجعها مظهره بعمامته الخضراء وثيابه المهلهلة ولحيته الطويلة ومجموعة السبح المتدلية من رقبته فى الإقتراب منه أكثر من ذلك . لكن صوته العذب الذي تسلل إلى أذنها دفعها للإقتراب منه أكثر

_ مولاي يا باب الحوائج إنني
بك لائذ وإلى جنابك أرتجي
لا أرتجي أحداً سواك لحاجتي
أحداً سواك لحاجتي لا أرتجي

كان صوته شديد العذوبة وكان الكلام ينساب من بين شفتيه ببالغ الإحساس ، إقتربت منه وهى تمد الكتاب فى إتجاهه . من دون أن ينظر إليها أمسك بالكتاب وبدأ يمرر يده ببطء على غلافه الخارجي . لحظتها رأت فى يده خاتم يتطابق تماماً مع الخاتم الذي فى يدها فاطمأن قلبها . سحب الكتاب وأدخله فى كيس من

القماش ثم اعتدل وافقاً وأشار لها أن تتبعه . بإتجاه الشارع الرئيسي سارت خلفه وسط حشود من الناس على ملامحهم خليط من علامات الدهشة والسرور يتطلعون إلى المحلات المتراصة حول المسجد المكتظة بالبضائع من كل شكل ولون . فى نهاية الشارع الرئيسى بجوار محل تخصص فى بيع العطور انعطف يميناً بإتجاه ممر مظلم ضيق من الصعوبة ملاحظته ، فهو من الضيق لدرجة أنه لا يمكن لشخصين عبوره متجاورين ،و فى نهايته انتصب محل غير محدد المعالم فلا هو خردواتي ولاهو مكتبة ، فعلى أرففه اصطفت مجموعة متنوعة من الاشياء لا تربطهم علاقة ببعض، كتب وأدوات منزلية ودمى خشبية وأحذية جلدية يجمع بينهم شئ واحد فقط هو قدم الصنع فقد بدا على بعض الأشياء وكأنها صنعت فى عصور ما قبل التاريخ . على مدخل المحل وقف صاحبه العجوز للترحيب بالقادمين.

حول المكتب المعدنى داخل المحل جلس الثلاث . صاحب المحل بجسده البدين مستمراً فى ترديد عبارات الترحيب على ضيوفه ، على خلاف ما جاء فى القرآن لم يقم الدرويش برد التحية بما هو أحسن منها بل جلس موجهاً نظره إلى يده الممسكة بمسبحته الكبيرة الخشبية يتمتم ببعض الكلمات لم تدرى أهى قرآن أم أذكار أم أدعية . من جهتها هى كانت تشعر أنها طفلة فى العاشرة من عمرها ذهبت بصحبة والدها لملاقاة أحد أصدقائه كانت فى قمة التوتر فلم تقوى على مبادلته التحية بالكلمات فاكتفت بإرسال إبتسامة بسيطة بدت مفتعلة من شدة الحرج والارتباك ، بادلها صاحب المحل الإبتسامة ليس بطريقة اضطرارية لكن بطريقة طبيعية لطيفة ، كان متقدم فى العمر لكن بصحة معتدلة ، وجه مستدير عينان زرقتان ملامح هادئة مريحة ، الدرويش جلس غارقاً فى تمتمتة غير مبالى بالمكان ولا بالحضور , كانت تشعر بالحرج لا تدرى ماذا عليها فعله إن استمر الوضع هكذا لوقت أطول ما إذا يجب عليها قوله لصاحب المحل إن سألها عما

يريدون . بيدها مسحت قطرات العرق من على جبهتها وهى تتطلع ببصرها فى أرجاء المكان كزبون يبحث عن شئ ما ليشتريه . شعرت بالبرودة تجتاح جسدها عندما وقع ما كانت تخشى حدوثه ، فقد بدأ صاحب المحل فى توجيه حديثه إليها .
ـ تشربي أيه ؟
ـ (بحرج) شكراً ولا أي حاجة
ـــ لا ازاى لازم تشربي حاجة شاى ولا حاجة ساقعه ولا اقولك انا هعملك كباية قهوة , عبد المغيث كان دايماً يقول انا قهوتى ملهاش حل . يا ع الدنيا مكناش بنفارق بعض دلوقتى بقينا نتقابل كل فين وفين
ـ تعرفوا بعض من زمان
ـ من أيام الجامعة
ـ (وهى تنظر بإتجاه الدرويش بإندهاش) جامعة
ـ مستغربة إننا خريج جامعة أومال لو قلتلك إن عبد المغيث كان الأول وانا الثانى على الدفعه هتعملى ايه . بس انتى ليكى حق اذا كنت انا نفسي مش مصدق , خلينى احكيلك حكاية مش هتنسيها .
ـ انا معايا الكتاب
هكذا قطع الدرويش حديث صاحب المحل الذى لمعت عينه للحظة
ـ (وهو يبتلع ريقه لصعوبة) كتاب ايه ؟!
ـ اللى عمرنا ضاع واحنا بندور عليه
ـ تقصد الجزء الأول
ـ اه
ـ (بحماس طفل) فين هو ورهونى
ـ ادينى الجزء التانى وخده
ـ ورينى الكتاب الاول وبعدين نتكلم
وضع يده فى الكيس القماش واخرج الكتاب ووضعه على المكتب أمامه , انتفض صاحب المحل واقف وهو ينظر بعيون جاحظة إلى الكتاب .عندما شرع فى مد يديه للإمساك بالكتاب أعاده الدرويش الى مكانه مرة أخرى
ـ ادهونى أبص عليه
ـ هات الجزء التانى وخده
ـ هتعمل بيه ايه
ـ انت اللى هتعمل بيه ايه ؟!
ـ انا محتاج يكون معايا الجزئين

ـ انت ميهمكش غير الجزء الأول
ـ خد أي حاجة غيره
وقف الدرويش وسار بخطى ثابتة بإتجاه باب المحل بدورها قامت هى وسارت خلفه
ـ (صارخاً) خلاص موافق
التف الدرويش بجسده للخلف وسار بإتجاهه وإبتسامة النصر تعلو وجهه , من جهته سار صاحب المحل بإتجاه أحد الرفوف ومن داخل صندوق معدنى أخرج الكتاب ثم التف عائداً بإتجاه الدرويش ، وجهاً لوجه وقف الاثنين يتطلع كل منهم للآخر , وضع الدوريش يده فى الكيس القماش فمد صاحب المحل يده بالكتاب . لكن بدل من أن يخرج الدرويش الكتاب أخرج سكيناً كبيراً وسدد له مجموعة من الطعنات أدت لمقتله فى الحال ..

بنصف وعى وقفت تتابع المشهد لا هي قادرة على تصديق ما ترى ولا هي قادرة على تكذيبه ، بعيون مذعورة تنظر إلى نهر الدم المتدفق من صدر الرجل الذى افترش بجسده الأرض . مرتبكة حائرة وقفت لا تدرى ماذا عليها أن تفعل وهى ترى الدرويش يسير فى إتجاهها بخطوات ثابتة ممسكاً بسكينه والدم يتقاطر من نصله فقدت القدرة على الهرب أو حتى الصراخ .اغمضت عينها مستسلمة لقدرها . شعرت بيده وهى تمسك بمعصمها ساحباً أياها بإتجاه الباب حاولت التراجع للخلف وهى تهز رأسها في عنف لكنه جذبها من يدها بقوة. بجسد يرتجف وخطوات مرتعشة وعينان لا ترى شيئا سارت خلفه فى الممر الضيق الطويل بإتجاه الشارع الرئيسي . فى نهر الشارع وسط أمواج الأجساد شعرت بالشجاعة تسري فى داخلها من جديد. بقوة أفلتت يدها من بين قبضته وتوقفت لكنه تابع سيره ، بصمت تبعته حتى دلفا بها إلى شارع الصاغة والذي كان عادته فى يوم الأحد هادئ هدوء القبور فجميع المحلات على الجانبين بأحجامها الكبيرة وواجهتها الرخامية مغلقة الأبواب على ما فيها من كنوز لم تجد به غيرهما . فصرخت فيه .
_ ايه اللى انت هببته ده
_ ..
_ احنا كده روحنا فى داهية
_ ..
_ (وهى تمسك به من الخلف) اقف وكلمنى

التفت إليها فوجدت الدموع تنهمر من عينيه بغزارة
_ ليه عملت كده ده كان صاحبك واداك اللي انت عايزه
بهدوء وضع يده في الكيس واخرج الكتاب ومده باتجاهها
_ ايه ده
_ كتابك أهو إرجعى بيه من مكان ما جيتي
_ معرفش أرجع ، وانت لازم تساعدنى انى ارجع جوزي وابنى
_لو فعلا عايزة تشوفيهم تانى يبقى لازم تستحملي للآخر

كان الهدوء لا يزال يسيطر على المكان حتى الكلاب كانت فى حالة سكينة فلم تبالى بهم ، وقف الدرويش ينظر إلى وجهات المحلات وكأنه يفاضل بينهم ثم سار بإتجاه أحد المحلات اتخذ كلبان بابه مأوى لهم ، سار الدرويش وأشار إليهم بالإنصرف فانصاعوا لأمره بهدوء وأخلوا له المكان ، بيده راح يتحسس الأقفال ثم اخرج من كيسه مجموعة كبيرة من المفاتيح تجمعهم مجموعة من حلقات معدنية وبدأ بتجربتها واحد تلو الآخر .
- انت بتعمل ايه ؟!
تابع ما يقوم بفعله دون أن يلتفت إليها
_ انت متخيل لو حد شافك هيحصل فينا ايه
انفتح القفل فإتجه إلى الآخر
_ مصيبة لتكون عايز تسرق المحل
_ ..
_ (وهى تتلفت حولها) ابوس ايدك يلا بينا من هنا قبل ما حد يحس بينا

انفتح القفل فبدأ برفع الباب لأعلى وتسرب بجسده الى الداخل ، بقلب وصلت دقاته حدها الأقصى وقفت على الباب تراقب الطريق ، لم يلبث فى الداخل لأكثر من دقيقة لكنها مرت عليها وكأنها ألف عام . قبل أن يعبر بجسده الباب بدأت هى فى التحرك ، لم يسمح لها جسمها السمين بالجري ، عوضا عن ذلك بدأت تبتعد عن المكان بخطوات قصيرة وسريعة مباشرة بإتجاه الشارع لم تلتفت الى أى جهة كانت على ثقة من أنه يتبعها ، عند ناصية الشارع شعرت بالنجاة فتوقفت والتفتت للخلف ، بدهشة بالغة راحت تنظر اليه وهو يسير فى إتجاهها بخطوات بطيئة غير آبه بالخطر الذي يحدق بهم .

على الناصية التي تجمع بين شارع الصاغة بشارع خان جعفر ،وقفت تنظر إليه وهو يسير فى إتجاهها بخطى ثابتة من دون وجل كلص محترف، كانت في قمة غضبها من تصرفاته و أفعاله. حين صار على بعد خطوة منها وجه لها ابتسامة كأنه متعمد ان يثير جنونها ثم أشار إليها بيده أن تتبعه ، من داخلها رغبت بشدة فى التمرد عليه لكنها كانت مضطرة للإذعان لأشارته. على مسافة أمتار سارت خلفه تكتفى أثره كشرطي مكلف بمراقبة أحد الخارجين على القانون ، لم تصدق عينها وهي تراه يعبر عتبة أحد البارات ، أعادت قراءة اليافطة المضاءة بالنيون أعلى الباب (بار الفردوس) سرعان ما خرج من نفس الباب حاملاً فى يده زجاجة خمر كبيرة لم يبالى حتى بإخفائها بل سار بإتجاهها وهو ممسك بها . من جهتها بدأت تلقى بنظرها بعيداً متظاهرة بالبحث عن مكان أو شئ ما ، تفكر فى الفضيحة التى على وشك أن تلتصق بها إن رآها أحد معارفها برفقته ، استمرت فى تجاهله حتى صار وجهاً لوجه وكأنها لا تعرفه .

_ يلا بينا
_ على فين ؟
_ على البيت
_ بيت مين ?!
_ بيتك
_ بيتى
_ ايوة يلا بسرعة
_ كمان بسرعة
_ ايوة
_ انت لقتنى اتسترت على جريمة قتل وشاركت فى جريمة سرقة قلت فى عقلك صيدة سهلة مش كده
_ ايه اللى انتى بتقوليه ده
_ بقول اللى حصل واللى هيحصل
_ لو ملحقناش نرجع ابنك وجوزك قبل شمس بكرة ما تطلع مش هتشوفيهم تانى.

بعيون مغرورقتان بالدموع وقفت تنظر إليه هل ترفض طلبه أم تجيبه ،معنى رفضها أن تعد ابنها وزوجها فى أعداد الموتى وقبولها يعنى هلاكها بدأت الدموع تنهمر من عينيها . بيده مسح دموعها لحظة شعرت بالسلام يسكن فى داخلها من جديد

_ (وهو ينظر إليها بعطف) تعالى أنا هشرحلك كل حاجة

_ احنا لازم نروح بيتك عشـــان نرجع ابنك وجوزك والخمرة مش للشـــرب دى مجرد أداة هستخدمها لصرف الجن
_ والمحل اللى سرقته
_ انا مسرقتش محلات ده محل والدى
_ بس انت مكنش عارف أنهى مفتاح هيفتح يبقى ازاى محل والدك
_ انا اسمى عبد المغيث النساج والدى أكبر صايغ فى مصر وعنده أكتر من ٢٠ محل ومفاتيح المحلات كلها معايا نسخة منها عشان انا إبنه الكبير .
_ طب وصاحبك اللى قتلته
_ للاسف كان لازم أعمل كده ده صاحبي من زمان وانا أدرى واحد بيه وعارف كويس إن الكتاب لو فضل معاه كان هيستغله فى أذية الناس.

للحظة وقفت تفكر فى تبريراته لتصرفاته العجيبة . عندما اقتنعت بتفسيره عزمت أمرها على الذهاب به إلى منزلها .

_ انا ساكنة فى الجمالية خمس دقايق مشي من هنا..

على الكنبة المواجهة للســاعة فى الصــالة جلســت تراقبه وهو يطوف فى أرجاء المكان حاملاً فى يده وعاء ماء جلبته له بعد أن أذابت سبع معالق من الملح بداخله بناءاً على طلبه ، أخذ ينثر الماء فى الأركان وهو يردد قول الله (أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرٌ) . عندما فرغ الماء من الاناء بدأ بإشـعال أعواد البخور وزرعها فى جنبات المكان بشـكل متوازى وبحرص شـديد وكأنها أصـــابع من الديناميت وهو يردد العهد عهد الله والعبد عبد الله ، بدأ الدخان الناتج عن احتراق أعواد البخور فى رســم خطوط لينة ، تســللت الى أنفها رائحة البخور هى نفسـها الرائحة التى ملأت جنبات البيت حينما استيقظت من نومها فى تلك الليلة المشــئومة . للحظة مر أمام عينيها كل ما مرت به من أحداث بدايةً منذ عودة زوجها وهو ممسك بمخطوطته إلى لحظة عثورها على الدرويش عند الباب الأخضــر . من جديد عادت تتابع الدرويش الذي وقف يفرغ زجاجة الخمر بداخل الوعاء ، ثم جلس على الأرض واضعاً الوعاء أمامه . بيده اخرج من حقيبته قلماً وبدأ يكتب فى كفه اليمين بيده اليسار رموز من أرقام وحروف بعدها يضع يده فى الإنـاء وهو يردد توكلوا يـا خـدام هـذه الحروف لا تخونوا العهـد ولا تخلفوه ، فتتســاقط الحروف فى الماء على هيئتها حتى ترســوا فى قاع الإناء . مع الوقت

أصـبحت الرؤية ضـبابية واصـبح الجو خانقاً لكن ما كان يزعجها هو صـوت الطنين الذي بدأ يضـرب أذنها ضـغطت بيدها على أذنيها ، كالهمس آتها صـوت الدرويش (عَسَـــى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) كررها مرات فبدأ يتلاشـى الطنين من أذنها تدريجياً ، وضـع الدرويش يده فى حقيبته واخرج منها شـمعاً وبدأ بالكتابة عليها . بفضـول حاولت الاقتراب لقراءة المكتوب لكن نظرة واحدة من الدرويش كانت كافية لتجميدها فى مكانها فقد بدت عينه جاحظة بشـــدة . ممســك بالشـــمعة بدأ الدرويش من جديد يطوف فى أرجاء الحجرة مردداً (اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)بشـــكل لا إرادى بدأت تفرك الخاتم بعد أن شـــعرت بالحرارة تســـري فيه ، اســـتمرت حرارة الخاتم فى الإرتفاع مما دفعها لإنتزاعه من إصـبعها ، من بعيد آتاها صـوت طرقات خفيفة على الأبواب تزايدت ســـرعتها وحدتها مع الوقت ، من جهته بدأ الدرويش بالرد على الطرق بترديد (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَـــرُونَ) ، بدأت تتلفت حولها عندما شـــعرت بالأنفاس الحارة تلفحها من كل إتجاه ، فى منتصـف الحجرة وقف الدرويش وهو يمسـك بنسـختى الكتاب بيده الاثنين رافعاً إياهم لأعلى قائلاً ، بسـم الله أجيبوا الداعى يا عباد الله شكر الله سعيكم إذ حضرتم وبارك الله فيكم وعليكم ، اقســـمت عليكم أيها الجان ســـكان الهيام بحق من تجلى إلى الجبل فجعله دكاً ، أن تفكوا أسر أهل الدار وتعودوا بهم من دون مس أو أذى ، اقسمت عليكم بحق اسم الله الاعظم المنقوش على خاتم ســليمان ابن داود أن ترحلوا فى ســلام آمنين. بعد لحظات بدأ الدخان يتصـــاعد من الإناء بكثرة حتى انعدمت الرؤيا . فجأة دوى فى المكان بكاء طفل على أثره صرخت هى صرخة مدوية . عندما انقشع الدخان كان الطفل فى حضـــن والده والدرويش واقفاً على هيئته أما هى فلم يعد لها أثر فى المكان .

_ انت مين

_(وهو يلتقط خاتمها من على الارض) انا الدرويش

_ فين مراتى

_ (وهو يمد يده إليه بالخاتم) لو عايز فعلاً تشـــوفها البس الخاتم ده وتعالى معايا نروح نجيبها

تمت ..